الايكولوجيا والاستدامة في إنشاء وتصميم المكتبات العمومية بالجزائر

Ecological and Sustainability in Construction of Public Libraries in Algeria

Écologique et durable en construction de bibliothèques publiques en Algérie

أ. دموش أوسامة

جامعة وهران 1 احمد بن بلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية-الجزائر

أستاذ جامعي وعضو دائم بمخبر البحث

أنظمة المعلومات والأرشيف LASIA

demouche31@hotmail.fr

د. عبد الإله عبد القادر

جامعة وهران 1 احمد بن بلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية-الجزائر

أستاذ التعليم العالي ومدير مخبر البحث

أنظمة المعلومات والأرشيف LASIA

kaderoabdel@gmail.com

ملخص : تعرف المكتبات العمومية تحولات في مبانيها وانتشارا واسعا في الفضاء العمراني داخل المدن عبر العالم، اكتسبت من خلالها أدوارا ووظائف جديدة تجعل منها شريك تنموي ومحرك حيوي لهذه المجتمعات، وعليه جاءت هذه الورقة لتعرض أحد هذه الأدوار الجديدة المرتبطة بالبعد الايكولوجي للاستدامة.

كما تركز هذه الدراسة على إستراتيجية (استراتيجيات) السلطات العمومية الجزائرية المعتمدة لمشاريع المكتبات العمومية خلال الألفية الثالثة، ومعرفة مدى اقترابها من التحولات والتوجهات التي ترتكز على المعايير الايكولوجية في إنشاء وتصميم مباني هذه المكتبات، وكيفيات إدماجها في النشاط البيئي والتنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية : البيئة، التنمية المستدامة، المكتبات العمومية، الفضاء الثالث، المكتبات الخضراء، الوساطة، الجزائر.

Abstract : Public libraries witness transformations in their buildings and a wide spread in urban space within cities around the world, through which they have acquired new roles and functions make them a developing partner and a vital driver for these communities, so this paper sheds light on one of these new roles associated with the ecological dimension of sustainability.

The study also focuses on the strategy (strategies) of the Algerian public authorities adopted for public library projects during the third millennium, knowing as to how close they are to transformations, changes and trends based on ecological criteria in the construction and design of the buildings of these libraries, and how Their integration into the environmental activity and sustainable development.

Key words : Environment, sustainable development, public libraries, third space, green libraries, mediation, Algeria.

Résumé : Les bibliothèques sont en mutations permanente et profonde dans leurs constructions et leurs implantations dans l’espace urbain, apportent une nouvelle conception dans leurs fonctions liée au thème de développement durable ; ils nécessitaient une adaptation permanente dans des services comme partenaire. Le but de ce travail est de soutenir et de sensibiliser la question écologique en tant qu’institution.

L'étude se concentre également sur la stratégie (les stratégies) nationale des bibliothèques publiques, mise en œuvre au cours du troisième millénaire par les autorités publiques algériennes, pour déterminer dans quelle mesure les bâtiments sont couverts par les normes écologiques, et quels en sont les effets globaux, en termes de perception, de missions et fonctionnement de la bibliothèque.

Mots clés : Environnement, développement durable, bibliothèques publiques, troisième lieu, bibliothèques verts, médiation, Algérie.

مقدمة

يشكل موضوع الايكولوجية والحفاظ على البيئة حاليا محورا مهما في أعمال المؤتمرات والمجالس الدولية التي تعنى بمشروع التنمية المستدامة، حيث تم إدراجه كركيزة أساسية ومسؤولية جميع الدول، من أجل بناء نظام دولي خاص بالإدارة البيئية والحفاظ على التوازن الإيكولوجي، وعليه قامت مجموعة من المنظمات الدولية بوضع جملة من المعايير والقواعد العامة التي تشرك جميع مؤسسات الدول على اختلافها في هذا المشروع.

في هذا السياق العام، شرعت العديد من الدول في تبني موضوع الحفاظ على البيئة والطاقات والموارد الطبيعية من المنظور الاقتصادي، والصناعي، والاجتماعي، والصحي، وحتى الثقافي من خلال الحرص على العمل بالتصريحات الدولية وتجسيد المعايير المتفق عليها في إنشاء المرافق، خاصة داخل المرافق الثقافية وعلى رأسها المكتبات العمومية التي أخذت خلال القرن 21 أبعادا أخرى تجعلها ضمن هذا التصور خاصة مع بروز مفهوم " مكتبات الفضاء الثالث " و" المكتبات الخضراء " اللذان أصبحا يشكلان نموذج للتخطيط للمكتبات في العالم، حيث يحمل هذان المفهومين مقاربة ثقافية واجتماعية جديدتين.

في إطار هذا النسق، لا نستطيع أن نفصل التجربة الجزائريّة ونخص بالدراسة والتحليل تجربة بعض المكتبات الجزائريّة، في انخراطها في المشروع البيئي عما يحصل في العالم، وهذا ما جعلنا في الحقيقة نجد المبرر للتفكير في السؤال الإشكالي المتمحور حول المدى الذي احترمت فيه بنايات المكتبات الجزائريّة النظم الإيكولوجيّة التي تتماشي مع طبيعة المحيط من أجل تنمية مستدامة ؟

يعتبر موضوع الايكولوجيا من الدراسات العميقة والمتشعبة والذي يصعب علينا الإلمام بكافة جوانبه في مقال علمي واحد، وذلك لتعدد أبعاده، وحتى تكون دراستنا ذات عمق، فإننا سنقتصر في بحثنا على معالجة أحد أركان البعد الإيكولوجي المتعلقة بمسألة الهندسة المعماريّة لبناية المكتبة في الجزائر لما يمثله تصميم البناية من أهميّة، حيث يمكن اعتبار بناية المكتبة الخطوة الأولى نحو التأسيس لبيئة مستدامة. وللبحث في هذا الإشكال سوف نعتمد منهجا وصفي نقدي يرتكز على دراسة ميدانيّة لأحد النماذج الجديدة للمكتبات العموميّة المنجزة على مستوى الغرب الجزائري، محاولين الوقوف عند الجهود والمبادرات التي اتخذتها الجزائر خلال الألفية الثالثة لمعالجة موضوع التوازن الايكولوجي والاستدامة خاصة من منظور ثقافي (قطاع الثقافة)، حيث تبنت الجزائر انجاز بنية تحتية مهمة للمرافق الثقافية تخضع للتصريحات والمعايير الدولية، مع مراعاة خصائص البيئة والمناخ الجزائري، مسلطين الضوء على مبادرة وزارة الثقافة وإصدارها في سنة 2008 المعيار الوطني بجزأيه وسعيها من أجل خلق نموذج جديد

للمكتبات على مستوى رؤساء ولايات الوطن تحمل تسمية "المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية"، والتي تشكل قطيعة مع أشكال فضاءات الكتاب والمطالعة المنجزة سابقا في الجزائر. كما سنبحث من خلال هذه الورقة في حدود هذا النموذج الجديد للمكتبات بالجزائر حتى نقرّ بمدى صحّة إقترابه من مفهوم "مكتبات الفضاء الثالث" و"المكتبات الخضراء"، مشيرين إلى الآليات المعتمدة داخل هذه المكتبات والتي تعزز بها العملية الوساطية التي تسمح بتوعية وتحسيس المواطنين بفكرة الحفاظ على البيئة.

1. المكتبات العمومية ومشروع التحضر

عرفت المكتبات العمومية خلال العقدين الأخيرين انتشارا واسعا وتحولا ملحوظا في شكل المباني التي اتخذت أشكالا هندسية معمارية مبتكرة، بالإضافة إلى حرص المهندسين المعماريين والمخططين للسياسات الثقافية على التموقع الطوبوغرافي الجيد لها داخل المجتمعات. وما يحكم المرحلة الحالية لتنظيم المشاريع الحضرية بالجزائر هو التحول في العمل على نطاق واسع (المدينة والبلديات)، والذي حرصت من خلاله السياسات الثقافية الحالية على تصميم المرافق الثقافية التي تحمل هذه الأبعاد ويكون لها وظائف متعددة، وعليه فإن توفير وسائل الراحة التي من شأنها تعزيز فرص الإبداع والابتكار، وتكثيف استخدام المساحات الحضرية، خاصة مع طرح مفهوم " الفضاء الثالث " في علم الاجتماع الحضري.

تؤسس هذه التحولات التي تبحث في العلاقة بين السياسات الحضرية والسياسات الثقافية داخل المكتبات العمومية أحد البرامج الجديدة في علوم المكتبات والمعلومات، والتي تدرج مفهوم الفضاء العمومي في أسس وقواعد المكتبات، كونها فضاء ثقافي قاعدي ترتبط بمشاريع " دمقرطة الثقافة " (Alain, L,2001, p.67)، وهي الكلمة الرئيسية المستخدمة لدى المخططين للسياسات العامة في هذه الحقبة الزمنية.

هذا التصور الذي أصبح أكثر وضوحا في هذا العصر على الرغم من أن جذوره قديمة، والذي يطرح العديد من التساؤلات حول المكتبات العمومية باعتبارها أحد الفضاءات العمومية التي تساهم في التجديد الحضري، سواء تعلق الأمر بالمشاريع المعمارية المتطورة أو إعادة التعريف بوظيفة مكان قديم، وهل تلعب المكتبات الأيقونية دورا في إستراتيجية التسويق الحضري؟

تطورت فكرة المكتبة كـ "مشروع حضري" من خلال العديد من الأعمال التي قدمها بعض المفكرين، والذين يركزون على بعض المشاريع التي صممت في الأصل كعناصر أساسية لعملية التحضر، كان من بين هذه الدراسات ما قدمه Bertrand Anne-Marie في سنة 2002، حيث يركز في دراسته على التحولات في أجيال هذه المؤسسات خاصة مع بروز نموذج " مكتبات الفضاء الثالث "، ويدعم دراسته بالخطابات والتصريحات الواردة لبعض المهندسين المعماريين وأصحاب القرارات بفرنسا، والذين يؤكدون على أن " المكتبة كموضوع حضري، هي في قلب مشروع التحضر" (Blot-Julienne, G. 2018, p.8.).

تأخذ هذه التوجهات حاليا منحى أكثر رسمية ومهنية من خلال التصريحات الدولية لـ " اليونسكو – الإفلا " والتي تعتبر فيه المكتبات العمومية من المؤسسات المعتمدة أساسا في عملية التنمية والتهيئة الإقليمية، والتي تُدرج كعنصر رئيسي في السياسة العامة الوطنية من أجل إنعاش الحي وتنشيطه أو بناء مكان – منارة -، وخلق مجتمع مبدع وطموح، وهذا على جميع المستويات المحلية، تكون في المناطق الحضرية – المدن - وكذلك الريفية (Alain, L,2001, p.67). كما يرى Brian Gambles وهو مساعد مدير الشؤون الثقافية بمكتبة Birmingham "نحن لا نبني مكتبات في المدينة، وإنما نحن نبني المدينة" (http://www.caue92.fr/IMG/pdf/1_abcd.pdf). كما يصنف Regis Debray المكتبات العمومية ضمن المؤسسات التي يتم تسخيرها لمواجهة المخاطر(.Anne-Marie, B,1998, p.2).

إن هذه المكانة التي تحظى بها حاليا سواء بين الباحثين والمفكرين، أو المخططين وأصحاب القرارات، وحتى المنظمات الدولية، يفسر التواجد والانتشار المكثف لها خلال العقدين الأخيرين في المدن الأوروبية والأمريكية[1] وحتى العربية، كما يصبح لهذا التساؤل أهمية كبرى خاصة إذا علمنا أن الدراسات توضح أن عدد الأفراد الذين ينزحون للمدن هو في تزايد مستمر، وفقا لـ Joan Clos i Matheu فإن نسبة 75 % من سكان الأرض البالغ عددهم 9 ملايير، سيستقرون بالمدن مع حلول سنة 2030 (Maija, B. Finland, H, 2013,p.3)، وعليه فإن التحضر هو نقطة مهمة في القرن21، مما ينبغي أن يتضاعف معه عدد المكتبات العمومية، وفي ذلك أيضا إشارة إلى أنه سيكون لها مستقبل يرتبط بالدور الذي يمكن أن تقوم به في التخطيط الحضري. إن هذه العلاقة القائمة بين السياسات الثقافية والسياسات الحضرية الواردة في تصور المكتبات العمومية في القرن21 تهدف لخدمة المصالح الاقتصادية، والاجتماعية، والايكولوجية، والثقافية، والأخلاقية للمجتمعات.

2. المفهوم الجديد للفضاء العمومي

يشكل مفهوم "الفضاء العمومي" الذي طرحة الفيلسوف الألماني "يورغن هابرماس" اليوم نقطة مركزية لمختلف العلوم (الجغرافيا، الهندسة المعمارية، علوم الاجتماع، العلوم السياسية والاقتصادية)، والتي يتعرض فيها المفهوم للاختلاف بين المفكرين في مختلف المجالات المعرفية. تمكن يورغن هابرماس من تحديد خصائص هذا المفهوم وأبعاده الفلسفية والسياسية، غير أن استخدام المفهوم في علم الاجتماع الحضري سمح له بأن يكسب أبعادا مادية ملموسة، يتمثل استخدامه في كل الأشكال الحضارية التي تستعمل من طرف جميع سكان " المدينة " بطريقة حرة وديمقراطية.

---

[1]- Depuis 2003, de nouvelles bibliothèques centrales ont ouvert : à Vienne (Autriche) en 2003 ; en 2007 à Amsterdam (Pays Bas), à Drammen (Norvège) et à Turku (Finlande) ; en 2009 à Newcastle-upon-Tyne (Royaume Uni) ; en 2010 à Helsingör (Danemark) ; et en 2011 à Stuttgart (Allemagne), Birmingham (Royaume Uni), Aarhus (Danemark) 2014, et celles d'Oslo (Norvège) et d'Helsinki (Finlande) pour 2017.

عمل علماء الاجتماع الحضري على توسيع دائرة استخدام مفهوم " الفضاء العمومي " نظرا لأهميته، فحاولوا إفراغه من محتواه السياسي والفلسفي المحض، حيث طغت عليه الأبعاد المادية متأثرا بفعل التحولات العمرانية في المدينة، وعليه يتحدث عالم الاجتماع البلجيكي Jean Rémy عن "الأماكن الحضرية الجديدة" (Thierry, Paquot, 2008).

من المسلمات أن جميع الناس يسعون للعيش بمناطق " جيدة "، وهذا ما نطلق عليه بالأماكن المرغوبة، هذه المُسَلَمَة التي ينطلق منها عالم الاجتماع الأمريكي Ray Oldenbourg من جامعة Pensacola بـ Floride، لبناء مقاربته حول مفهوم "Third Place" أو "The Great Good Place" في سنة 1980 (Oldenburg, R, p.3)، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية بـ " troisième lieu " (Mathilde, Servet, 2009, p.21.)، وقد حاولنا استخدامه في اللغة العربية تحت مفهوم " الفضاء الثالث "، والتي جاءت في إطار انجاز بحث حول معرفة تأثير تحولات التحضر على سلوك البشر والممارسات الاجتماعية – أشكال المؤانسة -. وقد حدد Ray Oldenbourg مجموعة من الخصائص الذي تحكم هذه الفضاءات وهي:

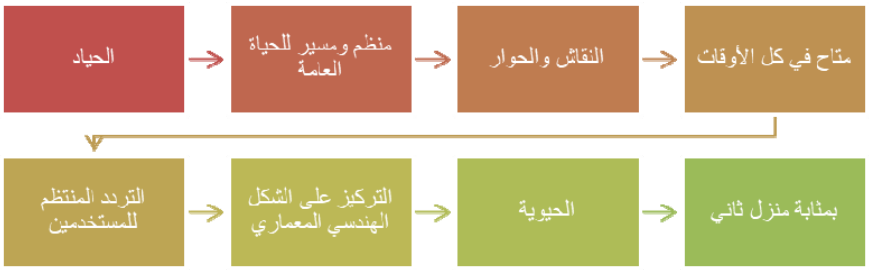

ارتبطت خصائص " الفضاء الثالث " الذي حددها Ray Oldenbourg بالجيل الجديد للمكتبات، خاصة تلك النماذج الجديدة للمكتبات الاسكندينافية، الهولندية، الأنجلوساكسونية، حيث تناولها العديد من الباحثين بالدراسة كان من بينهم عالم الاجتماع الأمريكي Robert Putnam والباحثة الفرنسية Mathilde Servet، واللذان يعتبران هذا النموذج الجديد لـ " مكتبات الفضاء الثالث " ركيزة أساسية للتخطيط لمشاريع المكتبات العمومية في القرن21.

يحمل المفهوم الجديد للفضاء العمومي أبعاد مادية قوية ومقاربة ثقافية واجتماعية جديدتين في عالم المكتبات الدولية، والتي تجمع بين تطبيق واحترام المعايير Haute Qualité Environnementale (HQE) [2] التي تسهم في إنشاء مكتبات بشكل

[2]- HQE هو اختصار لمنهج " الجودة البيئية العالية " الذي طورته الجمعية الفرنسية HQE في بداية التسعينيات إثر مجموعة ورشات عمل لتقييم الجودة البيئية في مجال السكن الاجتماعي ATEQE، التي عقدت في إطار إعداد المخطط العمراني والهندسة المعمارية (PUCA). ويعد هذا المنهج من أولى المناهج التي أنشأت بهدف الحد من آثار عملية البناء أو إعادة تأهيل الأبنية داخل البيئة مع ضمان ظروف

حضري متميز تساهم في تحسين صورة المدن، والحفاظ على البيئة والمساحات الخضراء، وتشجيع الحياة العامة، خاصة مع إطلاق مفهوم " المكتبات الخضراء " وتخصيص جائزة المكتبات الخضراء لـ " الإفلا " IFLA Green Library Award، والذي تؤكد من خلاله على البعد الجديد للمكتبات العمومية والمسؤولية الاجتماعية المرتبطة بالحفاظ على البيئة والتقليل من المخاطر الايكولوجية.

3. الايكولوجيا والاستدامة في التخطيط للمكتبات العمومية

نشير في البداية إلى أن مفهوم " الايكولوجيا " ليس مرادفا لمفهوم " الاستدامة "، وإنما يشكل أحد الركائز الأساسية بالإضافة إلى العدالة الاجتماعية والنمو الاقتصادي التي يقوم عليها مفهوم "التنمية المستدامة". وعليه نتحدث في هذه الدراسة عن البعد الايكولوجي للاستدامة، حيث يعتبر دور الإنسانية في تغيير المناخ وفي مفهوم التنمية المستدامة من الاهتمامات الأساسية للمجتمع وبالتالي المكتبات، وقد ورد في تعريف لـ Mulford وHimmel على أن الاستدامة " هي استهلاك الموارد بمعدل لا يتجاوز سرعة تجديدها، وتوليد نفايات بمعدل يمكن استيعابه من البيئة "(Serap, K, Joumana, B, 2014, p.47.).

يقدم التصور السابق للمكتبات العمومية كموضوع للتحضر وبروز نموذج " مكتبات الفضاء الثالث " أو" المكتبات الخضراء " التحديات الجديدة التي تواجهها هذه الفضاءات، حيث أصبح إدراج المكتبات العمومية في قضايا البيئة والايكولوجيا حتمية لدى العديد من الباحثين والمنظمات الدولية التي تعنى بالمكتبات.

تشكل الايكولوجيا والاستدامة دعامتين أساسيتين في التخطيط للمكتبات حاليا، حيث يساهم الجيل الجديد والمبتكر لـ " مكتبات الفضاء الثالث " الذي يركز على مقاربة التصاميم الهندسية المعمارية الأيقونية التي تجعل منها صديقة للبيئة، والتموقع السليم لها داخل المدن بشكل قوي في تحسين صورة المجتمع وخلق ممارسات جديدة لدى المواطنين، تساهم في خلق التوازن الايكولوجي والتقليل من التأثير السلبي على البيئة الطبيعية أو الاستهلاك المكثف للطاقات المتجددة.

كما يحمل هذا النموذج الجديد لمكتبات الفضاء الثالث تسميات جديدة كـ مكتبة Idea stores، ومكتبة OBA، ومكتبة DOK de Delft ، ومكتبة Thionville، والذي يقدم مقاربة تسويقية جديدة في الفضاء الحضري، كما تعكس هذه المقاربة فلسفة تطور هذه الفضاءات ومجالات تصنيفها في المدينة التاريخية، ثم في المدينة الثقافية، إلى المكتبات في المدينة السياحية. إضافة إلى ذلك، يعطي هذا التوجه الذي يدرج المفهوم الجديد للفضاء العمومي في تصور المكتبات العمومية الفرصة أيضا للمكتبات التي لم تحظى بتشييد مباني جديدة أو الأماكن القديمة لإبراز هذا البعد الايكولوجي من خلال تقييم الموجود والعمل على تصميم فضاءات (نظيفة، جذابة وآمنة، مريحة، المساحات

معيشية صحية ومريحة داخل المبنى. أصبح يرتكز هذا المنهج في سنة 2001 على مكونين أساسيين وهما: الجودة البيئية للمباني QE، ونظام إدارة البيئة EMS، مما جعله منهجا معترف به دوليا في مجال تصميم المباني، كما تمنح البنايات التي تحترم هذا المنهج شهادة ® HQE .

الخضراء...)، والقيام بوضع برامج ونشاطات تحفز وتحسس من خلالها المواطنين بمواضيع حماية البيئة، فكونها فضاء عمومي، يجعلها هذا فضاء لممارسة جميع أشكال الوساطة الثقافية والبيداغوجية مع المستخدمين لزيادة الوعي بالمسؤولية الاجتماعية لكل منهم.

4. السياسة العامة البيئية في إنشاء وتصميم المكتبات العمومية في الجزائر: تحول براديغمي ومعايير ايكولوجية

تعطي الجزائر اهتمام كبير لموضوع البيئة والايكولوجيا وهذا ما يفسر حضورها الدائم في جميع اللقاءات والاجتماعات الدولية والمصادقة على الاتفاقيات والبروتوكولات المتعلقة بحماية البيئة في إطار مشروع التنمية المستدامة. كما سعت منذ مطلع الألفية الثالثة إلى تكثيف الجهود لتوفير أدوات حماية وتسيير البيئة وهو ما تؤكد عليه من خلال نص المادة 05 من القانون رقم 03-10 المؤرخ في 19 يوليو سنة 2003 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة.

صدر عن الجزائر خلال الألفية الثالثة مجموعة من التقارير تعتبر كمرجعية أساسية لتصور البعد الايكولوجي في إنشاء المرافق العمومية وارتباطها بمشروع الاستدامة، كما سمحت هذه التقارير برسم الإستراتيجية الوطنية للبيئة والمخطط الوطني للنشاط البيئي والتنمية المستدامة، نذكر من أهمها مايلي:

- **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر لسنة 2000:** ويتضمن هذا التقرير في مقدمته التحديات الثلاثة الكبرى المتعلقة بـ (الماء، التصحر، التلوث الحضري والصناعي)، كما ينص على ضرورة اطلاع الجمهور بالملاحظات والمعاينات التي أجريت في مجال البيئة من أجل توعية الجميع بمسائل البيئة. ويشمل هذا التقرير خمسة فصول تشرح وتعالج بالتفصيل العناصر التالية (احميداتو، محمد، ص.83):

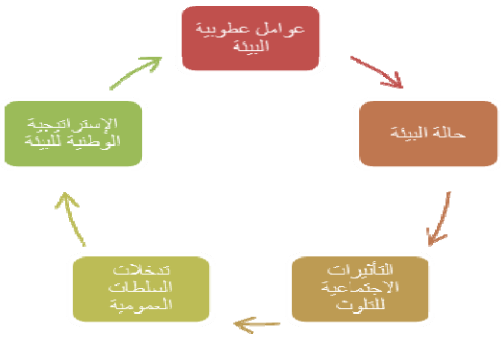

تقدم هذه العناصر الخمسة حالة البيئة وأشكال العطوبية والمخاطر الايكولوجية الناتجة عن علاقة جدلية بين المناخ والموارد الطبيعية بالأنشطة البشرية، كما تحدد مجالات تدخل السلطات العمومية والمحددة بـ 12 مجالا يشكل حماية التراث الثقافي أحد هذه المجالات المهمة التي تدعمها السلطات العمومية ماديا.

ـ **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة لسنة 2003:** يتناول هذا التقرير خمسة أجزاء رئيسية ترتبط بـ (المرجع نفسه، ص.83):

- الخلفية الاجتماعية والاقتصادية.
- الهشاشة البيئية ومدى قابلية الطبيعة والعوامل البشرية.
- حالة البيئة والسياسات المتبعة.
- الآثار المالية للسياسات المتبعة.
- انجازات سنوات 2000-2003 كأساس لسياسة عصرية للبيئة والتنمية المستدامة.

يشكل هذين التقريرين أداة مهمة للتخطيط في مجال البيئة والاستدامة في الجزائر خلال الألفية الثالثة، وخلفية مرجعية لجميع المشاريع المنجزة، حيث تحرص هذه التقارير في مجملها على ضرورة التشريع والتنظيم في مجال البيئة والايكولوجيا، ووضع المعايير التي تحمل هذا التصور داخل المؤسسات، بالإضافة إلى التأكيد على العمل التحسيسي والتربية البيئية، والذي يتطلب خلق مؤسسات تراعي المعايير الايكولوجيا في تصميمها، وتؤدي دور الوسيط في قيادة المشاريع التحسيسية والتوعوية للمواطنين في مجال الحفاظ على البيئة والطاقات المتجددة، وهو ما يمكن اعتباره فرصة للعمل مع المخططين للسياسات الثقافية في الجزائر للتخطيط لمشاريع المرافق الثقافية الحضرية وعلى رأسها المكتبات العمومية التي أصبح إدراجها في هذه القضايا أمرا ضروريا.

5. صدور المعيار الوطني لإنشاء المرافق الثقافية في الجزائر

أطلقت الجزائر خلال الألفية الثالثة الخطة الرئيسية للهياكل الثقافية بما فيها المكتبات العمومية، والتي تتضمن انجاز بنية تحتية جديدة تراعي الإعلانات والتصريحات الدولية (اليونسكو– الإفلا)، وتدخل مفهوم الجودة في تصميم المباني، وتحديد التموقع الجيد لهذه المرافق داخل المدن، وهذا بهدف خلق جيل جديد للمرافق الثقافية تساهم في المشروع الحضري والبيئي.

جاء في هذا السياق المعيار الوطني لإنشاء المرافق الثقافية والمحدد من طرف وزارة الثقافة بعنوان Normalisations des infrastructures et équipements culturels (NIEC)، يشكل هذا المعيار مرجعية أساسية لتصور الباحثين والمهنيين للجيل الجديد للمرافق الثقافية، وأداة عمل مهمة للمخططين والمهندسين المعماريين، وذلك من خلال جزأين أساسيين تبنى عليه هذه الوثيقة هما:

الجزء الأول: يتعلق بالمعايير، القواعد والمتطلبات العامة، والتي تعنى بـ:

– المعايير المضادة للزلازل المطبقة في الجزائر، من خلال عرض موجز لأبرز جوانب هذه اللائحة والمتطلبات التقنية والمفاهمية والمعمارية الرئيسية التي يتعين النظر فيها.

– المعايير الوطنية للسلامة من الحرائق والذعر في المؤسسات التي تستقبل الجمهور، ولاسيما في أحكامه المشتركة بين جميع المؤسسات.

– المعايير الدولية لتيسير وصول الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة إلى المرافق العامة وترتيبات التخطيط المادي التي يلزم الأخذ بها.

– المتطلبات العامة المطبقة في كل المرفق والتي ترتبط بالمتطلبات الواجب توافرها على المستوى الحضري، المعماري والبناء.

الجزء الثاني: يتناول المتطلبات المحددة للأوامر الحضرية، والمعمارية والتقنية التي يتعين مراعاتها في جميع المرافق الثقافية المذكورة (المكتبات العمومية، المتاحف، المسرح، السنما، الأوبرا، قاعة الحفلات، دور الثقافة...). ويعنى الجزء الثاني من المعيار الوطني بالخطة التي سطرتها وزارة الثقافة لإنشاء المرافق الثقافية منذ سنة 2005، والتي تحكمها مجموعة من السياقات بعضها بارز وصريح كاعتماد تصاميم هندسية معمارية جديدة تساهم في مشروع التحضر، حيث تؤكد السياسة العامة للسلطات العمومية على أهمية تحسين الأداء في مجال الهندسة المعمارية كشرط أساسي لإنجاح الجهود الوطنية المبذولة في تطوير المدن التي تسمح بالعيش الكريم والرفاه الاجتماعي للمواطن، وبعضها ضمني يرتبط بالإستراتيجية الوطنية للبيئة والمخطط الوطني للنشاط البيئي والتنمية المستدامة، والذي يحدد البعد الايكولوجي للمرافق الثقافية الجديدة في الجزائر عموما، وأهم ما يمكن استنباطه أو تحديده في هذا المعيار والذي يرتبط بالمكتبات العمومية مايلي:

ـ معايير إنشاء وتصميم مباني المكتبات العمومية: يتضمن هذا العنصر جملة المعايير الأساسية التي تحكم التطور المستقبلي لهذه المباني وجعلها مستدامة، والتي تعنى باختيار الموقع، ومدى تناغم المبنى مع موقعه داخل المجتمع، والذي له أثر قوي على النظام الايكولوجي (المساحات الخضراء، الاستخدام الفعال للطاقات الطبيعية، التقليل من استهلاك الطاقات المتجددة...الخ). وعليه يحدد هذا المعيار في البداية الشروط التي يلزم توفرها لاعتماد مشروع المكتبة داخل المدن، من خلال التركيز على تموقعها الذي يسمح لها بأن تكون قريبة من السكان بمسافة تم تقديرها بـ 1200 م كحد أقصى، وهذا يعود عليها من منظور ايكولوجي بالسعي إلى التقليل من الاستخدام المكثف لوسائل النقل التي تلوث الهواء (السيارات)، أما بالنسبة للمدن الكبرى فيتطلب التفكير في وسائل النقل العمومية وتنظيمها أو استخدام وسائل النقل الخاصة المصاحبة للبيئة كالدراجات الهوائية. كما تحرص على تواجدها بالقرب من المناطق التجارية، والمؤسسات التربوية والثقافية الأخرى، والتي تشكل دائما عامل جذب مهم، كما يلزم ابتعاد هذه الفضاءات عن جميع مصادر الإزعاج والتلوث كالمصانع، والطرقات السريعة، والسكك الحديدية.

وتهتم السياسة الثقافية للسلطات العمومية أيضا بالتصميم الهندسي المعماري لمباني هذه المكتبات، حيث تلزم المهندسين المعماريين وأصحاب المشاريع على اختيار مواد البناء الصديقة للبيئة، والمضادة للحرائق، كما يعتمد في تصميم بعض المكتبات بالمناطق الساحلية على الواجهات الزجاجية المزدوجة والثلاثية التي تجعل منها واجهة لجذب

القراء، وتخصيص المساحات الخضراء مما يجعل هذه الفضاءات أحد المرافق العمومية المساهمة في السياسة التسويقية الحضرية.

كما يلزم هذا المعيار جميع المهندسين وأصحاب المشاريع على أن يتوفر مبنى المكتبة على مدخلين، مدخل مخصص لجمهور القراء، ومدخل خاص بالموظفين في المكتبة، بحيث يكون هذا المدخل مخصص لنقل الأغراض الثقيلة، ويتوفر على مساحات تسمح بأداء بعض الوظائف المرتبطة بإعادة الترميم أو تصليح الآلات والأثاث الخاصة بالمكتبة التي تدخل في إطار الرسكلة لموارد المكتبة.

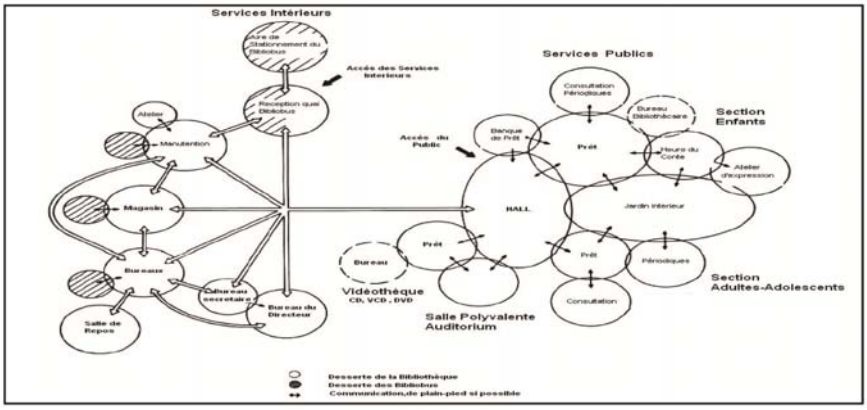

الشكل رقم 01: يوضح التصميم الداخلي لمساحات المكتبات العمومية

ـ المعايير التقنية المرتبطة بتهيئة البيئة الداخلية للمكتبة: يركز هذا المعيار على بعض الجوانب التقنية التي يلزم مراعاتها في تشييد هذه المكتبات، والتي تقدم الرؤية الخضراء لتصور وتسيير هذه المؤسسات، نذكر منها مايلي:

التهوية وتجديد الهواء، والتبريد.	- يعتبر مبدأ مهم داخل هذه الفضاءات. - تجديد، تمرير، تغيير، واستبدال الهواء داخل الفراغ بمعدل 10م^3/سا لكل فرد. - توفير منافذ التبريد والتهوية المختلطة. - اعتماد التهوية الطبيعية للجمهور من خلال الأبواب والنوافذ. - تكون نوافذ التهوية والتبريد داخل مخازن المكتبة غير ناقلة لأشعة الشمس الكثيفة، والتي تضر على المدى الطويل بالأوعية الورقية. - تركيب مكيفات التبريد والتهوية داخل المدن الكبيرة التي تشهد تلوث الهواء.

	- يقتصر تركيب وتشغيل مكيفات التبريد والتهوية على الولايات التي يصعب عليها التحكم في الرطوبة أو التي تعرف حرارة شديدة وهذا لما يترتب عن هذه العملية من تكاليف واستهلاك للطاقات.
التدفئة	- اعتماد أنظمة التدفئة المختلفة (المركبة بالسقف أو بالأرضية). - الحفاظ على درجة الحرارة من 18 درجة مئوية إلى 20 درجة مئوية داخل القاعات. - اعتماد التدفئة المختلطة في دائرتين واحدة مستمرة وأخرى منقطعة. - التفكير في حلول اقتصادية لتشغيل وصيانة أنظمة التدفئة.
الرطوبة	- يرتبط هذا المبدأ بالقدرة على الحفاظ على درجات الحرارة المناسبة داخل فضاءات المكتبة. - الحفاظ على الرطوبة ثابتة حسب الفضاءات، فمعدل الرطوبة بالنسبة للوثائق المطبوعة والمصورة ما بين 50 و55%، وما بين 65 و70% بالنسبة للأقراص الصلبة، وما بين 20 و40 % بالنسبة للأشرطة والأفلام. - يلزم أن تتوفر المكتبات على أجهزة قياس الرطوبة وذلك لتعديلها بنحو مناسب.
الإضاءة الطبيعية والاصطناعية	- الحفاظ على الإضاءة الطبيعية المعتدلة مبدأ أساسي يعتمد عليه المخططين والمهندسين المعماريين في اختيار تموقع وتوجيه هذه المكتبات. - التركيز على التحكم في الإضاءة وخاصة في التخطيط للإضاءة المصطنعة داخل المباني. - اعتماد الإضاءة عبر أنابيب الفلوريسنت داخل المساحات المخصصة للجمهور وذلك لتوزيع الإضاءة بشكل متساوي. - اعتماد المصابيح المتوهجة داخل المساحات الخاصة بالموظفين (يتم حسابها وتقدير قوتها وفقا لطبيعة الأعمال التي يتعين على المكتبيين القيام بها: الفهرسة، التجليد والترميم، البحث الببليوغرافي...).

يتضح لنا من خلال هذا المعيار اهتمام السياسة الثقافية للسلطات العمومية بالتصميم الهندسي المعماري الجديد لمباني هذه المكتبات، وتحديد الشروط والمتطلبات

التقنية التي تحترم معايير الجودة Haute Qualité Environnementale (HQE)، بالإضافة إلى تجهيز هذه الفضاءات بكامل الوسائل التي تسمح للرواد بقضاء الأوقات والاسترخاء، ويعبر هذا عن العلاقة الضمنية القوية بين الجيل الجديد للمكتبات العمومية بالجزائر والتوجهات الحديثة للمكتبات في العالم التي تدرج المفهوم الجديد للفضاء العمومي أو حتى الحديث عن "المكتبات الخضراء".

6. مسألة البيئة بالمكتبات العموميّة الجزائريّة :دراسة نموذج المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية "محمد ديب" بولاية تلمسان

إن ما تحمله الفلسفة الجديدة للسياسة الثقافية للسلطات العمومية التي ترتكز على احترام المعايير الايكولوجية في اعتماد الجيل الجديد للمكتبات العمومية، يبرز من خلال مشروع المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية المنجزة حديثا على مستوى رؤساء ولايات الوطن البالغ عددها 42 مكتبة من أصل 48 مكتبة مقرر انجازها، حيث يحظى هذا النموذج الجديد باهتمام السلطات العمومية، ويجسد المواصفات التي تم وضعها على المستوى الوطني (وزارة الثقافة) والتي تجعلها تقترب في تصميمها إلى التحولات التي تعرفها المكتبات في الدول التي تعرف تقدما في هذا المجال من خلال ما هو متعارف عليه في المعايير الدولية (اليونسكو– الإفلا). يحكم انجاز هذا "النموذج" الجديد للمكتبات العمومية في الجزائر مجموعة من الاستراتيجيات للسلطات العمومية ترتبط بمشروع التحضر، والحفاظ على البيئة والايكولوجيا في إطار مشروع التنمية المستدامة، ما يجعل منها موضعا للدراسة حول إمكانيّة المرور بالمفاهيم الجديدة الواردة في أسس وقواعد المكتبات العمومية، والتي ترتبط أساسا بإدراج المفهوم الجديد للفضاء العمومي. سوف نقف من خلال هذا العنصر عند نموذج جديد للمكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية في الغرب الجزائر، والممثلة في ولاية تلمسان، لندرس القرائن التي تحكم إنشائها وتصميمها لتجعلها من المباني الخضراء ونكشف من ناحية أخرى المؤشرات التي من الممكن أن تجعل من قربها للرؤية الخضراء أمرا نسبيّا.

أنشئت المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية تلمسان في 25 أفريل 2012، بمناسبة اختتام تظاهرة "تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية "، وقد عرف إنشاء هذه المكتبة بأحد الأحياء المستحدثة حديثا "إمامة " بمدينة تلمسان، حيث تعرف هذه المنطقة حاليا توسعا سكانيا. كما يحمل هذا النموذج مجموعة من المؤشرات التي ترتبط بالتصور الحديث لإنشاء المباني المستدامة والتي يمكن تحديدها في العناصر التالية:

- **تناغم تصميم مبنى المكتبة مع خصائص المجتمع:** يتأثر التصميم الهندسي المعماري لمبنى هذه المكتبة بخصائص المدينة التي تزخر بالعديد من المواقع الطبيعية والتراث العمراني الأندلسي، الذي يمكنها من أن تصنف حسب ما يؤكد عليه العديد من الباحثين والمختصين في التاريخ والآثار والمعماريين والمهندسين في مجال البناء كأحد أهم المدن السياحية بالغرب الجزائري، وعليه يحرص المخططين والمهندسين في مجال البناء على الحفاظ على هذا التراث العمراني الذي تتميز به هذه الولاية والذي يتوافق مع رؤية وجهود السلطات العمومية على جعلها عاصمة تاريخية وثقافية، وعليه يسعى جميع المخططين وأصحاب القرارات إلى تطوير هذه المدينة من خلال ابتكار تصاميم هندسية

جديدة لجميع المرافق الثقافية بما في ذلك مبنى المكتبة الرئيسية الذي يساهم بقوة في الحفاظ والتسويق لهذا التراث العمراني خاصة داخل الأحياء الجديدة.

الصورة رقم 01: مبنى المكتبة الرئيسية لولاية تلمسان

- **حسن اختيار تموقع المكتبة:** يحظى مبنى المكتبة بتموقع طوبوغرافي جيد وسط مدينة "إمامة" التي تعرف أكبر نسمة سكانية حاليا، حيث يتواجد مبنى المكتبة بمحاذاة الأحياء السكنية، وباقي المرافق الثقافية (قصر الثقافة، المراكز الثقافية...) والمؤسسات التعليمية، ومختلف المرافق العمومية الأخرى، الأمر الذي يسمح بتردد جميع فئات المجتمع على المكتبة عن طريق المشي على الأقدام أو باستخدام الدراجات الهوائية، كما يتصل المبنى بجميع وسائل النقل العمومية التي تسهل عملية التنقل إليه في كل الأوقات، مما يؤدي إلى التقليل من استخدام وسائل النقل الخاصة (السيارة، الدراجة النارية) والتي تخل بالنظام الايكولوجي لما تفرزه من غازات، وعليه فإن اختيار تموقع مبنى المكتبة يشكل أحد الميزات الأساسية ليصنف كأحد المباني المستدامة المنجزة على مستوى الولاية. كما يحتوى المبنى على مدخلين، مدخل في الجهة الشرقية خاص بالقراء، ومدخل في الجهة الغربية خاص بالموظفين، ويتواجد بهذا المدخل في الجهة الغربية مرآب خاص بالمكتبة المتنقلة وركن السيارات.

الصورة رقم 02: المدخل الأمامي الخاص بالقراء

الصورة رقم 03: المدخل الخلفي الخاص بالموظفين

ويحرص القائمين عليها على استزراع مختلف النباتات داخل مبنى المكتبة وتوفير المساحات الخضراء في محيط المبنى، وذلك لما تقدمه هذه النباتات من مزايا يرتبط أحدها بتقديم مناظر طبيعية جذابة تحسن صورة المكتبة، والثاني يعود إلى أهمية هذه النباتات في إنتاج غاز الأكسجين بشكل يومي، والذي يسهم في تلطيف الجو وامتصاص الحرارة الناتجة عن أشعة الشمس بالبيئة الداخلية خاصة عند بهو المكتبة.

الصورة رقم 04- 05-06: يوضح توفير النباتات المختلفة داخل المبنى وخارجه

- **ترشيد استخدام موارد الطاقة داخل المكتبة:** اعتمد المهندس المعماري في تصميم مبنى المكتبة على تزويدها بواجهات زجاجية معتمدة في الواجهة الشرقية للمبنى، لزيادة الضوء الطبيعي والتقليل من استخدام المصابيح الكهربائية خلال ساعات النهار، وتشكل هذه الواجهات الزجاجية الأساس الذي يعتمد عليه المسيرين حاليا في تقسيم المساحات والفضاءات داخل المكتبة، حيث تغطي الإضاءة الطبيعية داخل فضاءات المكتبة نسبة 70 % من المساحة الإجمالية للمكتبة بداية من الطابق الأرضي الذي يضم مدخل المكتبة ومكتب الإعارة، إلى فضاءات القراءة والمطالعة المتواجدة على مستوى الطابق العلوي.

كما تتزود المكتبة بنظام الإضاءة الاصطناعية، حيث يتم المزج في بعض الفضاءات بين الإضاءة الطبيعية والإضاءة الاصطناعية خاصة داخل مكاتب المعاجلة الوثائقية ومخازن الكتب، وتغطي هذه الإضاءة المستهلكة للطاقة داخل مساحات المكتبة نسبة 30 % فقط، ويستخدم القائمين عليها المصابيح الموفرة للطاقة من نوع LED، ويتم التحكم في هذا النظام داخل القاعات بشكل يدوي حسب الحاجة والاستعمال.

الصورة رقم 07-08: يوضح المزج بين الإضاءة الطبيعية والإضاءة الاصطناعية داخل فضاءات القراءة والمطالعة

- **ترشيد استخدام مصادر المياه:** تعتبر المكتبة كغيرها من المرافق العمومية التي تعتمد أساسا على مياه الحنفيات في عملية التنظيف والري للنباتات، وداخل دورات المياه، غير أنه مؤخرا تم اكتشاف منبع للمياه الطبيعية بالفضاء الخارجي للمكتبة، ويعمل القائمين على هذا المشروع حاليا باعتباره مصدر أساسي لتزويد المكتبة بهذه المياه، مما يسمح بتخفيض تكلفة فاتورة المياه.

- **التهوية داخل الفضاء:** يضمن مبنى المكتبة التهوية الداخليّة من خلال طبيعة التصميم الذي أنشئ عليه، حيث يتم التركيز على تجديد الهواء بمختلف فضاءاتها عن طريق النوافذ، والتي يختلف حجمها حسب طبيعة الفضاء، فنجد داخل مخازن الكتب نوافذ صغيرة ومرتفعة عن الرفوف تسمح بدخول الهواء الطبيعي، كما نجد منها كبيرة الحجم وتمتدّ على طول الأروقة المتواجدة على مستوى الطابق الأرضي، ونوافذ أخرى بالطابق العلوي متصلة بالجدران والواجهات الزجاجية تعمل على تلطيف الجو العام داخل هذه القاعات.

كما تم تزويد المكتبة بنظام التكييف الميكانيكي داخل فضاءاتها[3] (نظام التكييف المركزي)، خاصة بالمساحات التي يتردد عليها القراء بكثرة، والأماكن التي تضم المجموعات الوثائقية والتجهيزات الالكترونية من أجل التبريد خاصة خلال فترة الصيف التي تعرف ارتفاع في درجات الحرارة وانعكاس أشعة الشمس عبر النوافذ التي قد تحدث قلقا لرواد المكتبة وكذلك ضررا بالمجموعات الوثائقية، مما استوجب وضع ستائر للتقليل من التأثير الحراري.

- **التوعية والتعليم البيئي داخل المكتبة:** تساهم هذه المكتبة حاليا بشكل قوي في تغطية جميع التظاهرات والنشاطات الثقافية والعلمية والاجتماعية المبرمجة من طرف وزارة الثقافة، والاحتفاء بالأعياد والمناسبات الوطنية والدولية في شتى المجالات، حيث يشكل موضوع البيئة والايكولوجيا أحد اهتمامات هذه المكتبة، والتي تسعى حسب ما يصرح به مسؤول المكتبة على إبراز هذا الدور الجديد للمكتبة داخل هذا الفضاء العمراني الحضري باعتبارها سلوكات حضرية جديدة تعمل على تدريب وتعويد المواطنين (القراء) عليها، ويتم هذا حاليا داخل المكتبة من خلال الحرص على الاحتفال والاحتفاء بالأعياد الوطنية والدولية الرسمية المتعلقة بالجانب البيئي والايكولوجي (عيد الشجرة، اليوم العالمي للبيئة...) وإدراجها ضمن برنامجها السنوي، بالإضافة إلى برنامج "المهرجان المحلي القراءة في احتفال" الذي يقام كل سنة والموجه خصيصا لفئة الأطفال، حيث تأخذ هذه البرامج مجموعة من النشاطات المتنوعة المرتبطة بالتوعية والتعليم البيئي للمواطنين، نذكر منها:

- تنظيم ندوات وملتقيات مرتبطة بموضوع البيئة والحفاظ على الموروث الثقافي المادي واللامادي.

---

[3]- يعمل نظام التكييف المركزي المتواجد داخل مختلف فضاءات المكتبة (القاعات الكبرى مجهزة بـ 04 مكيفات، وباقي القاعات مجهزة بمكيفين) على تلطيف الجو بكثافة مناسبة ومستوى معتدل °22.

– تنظيم محاضرات حول المواضيع الايكولوجية والبيئة في المناسبات الوطنية والدولية.

– تقديم عروض مسرحية للأطفال حول النشاط البيئي.

– تنظيم خرجات للأطفال لغرس الأشجار.

– توزيع مطويات حول موضوع الحفاظ على البيئة.

– الحرص على استمرارية نظافة المبنى وجاذبيته بشكل مستمر والذي تساهم في تحسين صورة المدينة.

7. حدود اعتماد الرؤية الخضراء في نموذج المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية بالجزائر

يحمل النموذج الجديد للمكتبات العمومية في الجزائر بعض العناصر التي تجعله يقترب من التحولات التي تعرفها المكتبات في العالم، والتي تدرج البعد الايكولوجي والبيئي ضمن المهام الجديدة والأساسية في التخطيط وتصور هذه المؤسسات. غير أن الحديث عن مباني هذا النموذج الجديد في الجزائر باعتبارها مباني خضراء إشكالية تحكمها مجموعة من العوامل، حيث يؤكد "مجلس الولايات المتحدة للمباني الخضراء" على أن مبنى المكتبة الخضراء لا يرتبط بتوافر عنصر واحد فقط من عناصر البناء، بل إنه يمثل تكامل فيما بين مجموعة من العناصر يحددها ضمن برنامج (LEED)[4].

ومن خلال ما توفر لنا من معطيات لدراسة نموذج المكتبة الرئيسّة بولاية تلمسان، فإننا نلمس رغم الجهود الجادة، ما يمكن أن نطلق عليه بالإخلالات المرتبطة أساسا بطبيعة المواد والمقر. حيث أن الجزائر كغيرها من بلدان شمال إفريقيا، بلد حار تمتد الحرارة والشمس به إلى ما يتجاوز الستة أشهر، في حين لاحظنا استحسانا في تأسيس بنايات ذات واجهات زجاجية، تسرب أشعة الشمس وحرارتها، وهذا من شأنه أن يؤثر سلبا على الوثائق داخل القاعات، كما يوجب المزيد من استهلاك طاقة المكيف، لأنّ النماذج الزجاجية الجميلة، قد استوحيناها في الحقيقة من البنايات في الغرب حيث يطول شتاءهم ومن الجيد الاستثمار فيما يوفره الزجاج من ضوء وحرارة لكنه في المقابل لا يتماشي مع طبيعة المناخ الجزائري.

من جانب آخر فإنه من الجيد قرب المرافق لمناطق العمران لكن يبدو أنّ الحذر واجب خاصة في التمركز في مناطق تكثر فيها تسربات الغازات المنبعثة من وسائل

---

[4]- يعد هذا البرنامج اختصار لـ " نظام الريادة في تصميمات الطاقة والبيئة " Leadership in Energy and Environnemental Design، الذي طوره مجلس الولايات المتحدة للمباني الخضراء في سنة 1998، وهو نظام معترف به دوليا حاليا بأنه مقياس تصميم وإنشاء وتشغيل مبان مراعية للبيئة وعالية الأداء، كما يمنح هذا المجلس للمباني التي تحترم هذه المعايير شهادة المباني الخضراء.

النقل وما ينجر عنها من أوساخ وغبار ستلتصق بمرور الوقت مع الوثائق، خاصة إذا فتحت النوافذ والأبواب.

وربما نرجع هذه الغفلة في تأسيس بناية ضخمة ذات واجهات زجاجية في منطقة حارة مثل الجزائر إلى غياب التجربة والخبرة في مجال إنشاء وتصميم مباني المكتبات العمومية لدى المهندسين المعماريين وأصحاب المشاريع بالجزائر، ويبرز هذا من خلال التباين في مباني هذه المكتبات المنجزة عبر 42 ولاية، حيث تحترم بعض مباني هذه المكتبات المعايير الوطنية والدولية في مجال البناء في مستويات معينة، وتقترب في تصميمها لشكل المكتبات الحديثة، بينما تبقى بعض مباني هذه المكتبات بعيدة عن احترام هذه المعايير والمواصفات التي تتطابق مع طبيعة المناخ. نضيف إلى ذلك افتقار مباني هذه المكتبات إلى إستراتيجية فعلية لترشيد استخدام الطاقات، حيث تبقي هذه المكتبات على إنارة المصابيح ليلا لتشغيل كاميرات المراقبة، في حين كان من الممكن ترشيد استغلال الموارد الطبيعية، كالاستثمار في أشعة الشمس.

كما لمسنا من خلال الحوار مع بعض المختصين في المكتبة، عدم إلمامهم بالمعايير الايكولوجية المرتبطة بجودة الإضاءة، التهوية والتبريد، والتدفئة، والرطوبة، والتي تبقى ضمن تمثلاتهم من مهام التقنيين، ويؤكد على هذا غياب أجهزة قياس الرطوبة واستشعار الحرارة، إضافة إلى غياب تام للمعطيات حول مواد البناء المستخدمة داخل هذه المكتبات، ودرجة تأثير البناية على البيئة المحيطة بها، وبما يعود ذلك إلى عدم التنسيق بين الهندسيين المعماريين الذين أنشئوا هذه المكتبات والمسيرين الحاليين لها. كما أدركنا من خلال المعاينة غياب سياسة حقيقية للتعامل مع النفايات، أو رؤية إستراتيجية للتقليل من الورق والمواد البلاستيكية داخل هذه المكتبات والاستثمار في التكنولوجيا. ولعلّ الأمر الأكثر قلقا هو غياب برامج وتجارب حقيقية على أرض الواقع تعكس مساهمة هذه المكتبات في قضايا البيئة، إلا في النشاطات المناسباتية التي تقيمها هذه المكتبات تماشيا مع برنامجها السنوي الذي يدرج هذه النشاطات ضمن الاحتفال بالمنسبات الرسمية سواء الوطنية أو الدولية، حيث لمسنا غياب ثقافة الاقتصاد في الطاقات لدى المسيرين للقطاع العام، وينعكس هذا حتى على المواطنين، والذي انتقل من غياب ثقافة ترشيد استخدام موارد الطاقة إلى تلوث الأحياء نتيجة للرمي العشوائي للنفايات على مستوى المدن، والذي سجلت من خلاله الجزائر حالات عديدة تعاني من الأوبئة والأمراض المزمنة، بالإضافة إلى تلوث مياه الأنهار والآبار والتي أدت إلى ظهور بعض الأمراض، والذي يعيدنا للتفكير في الدور الوسائطي البيئي للمكتبات الرئيسية وملحقاتها المتواجدة على مستوى البلديات – مكتبات المطالعة العمومية - المكتبات الجوارية – مكتبات البلديات من أجل تحسيس وتوعية المواطنين بالحفاظ على البيئة، وتزويدهم بالإرشادات اللازمة لتفادي انتشار الأمراض والأوبئة، وتقديم خدمات جديدة بالإضافة إلى الجهود المبذولة في إنشاء وتصميم مكتبات مستدامة، خاصة فيما يتعلق بمفهوم " التعليم الأخضر" والذي يرتكز أساسا على توفير المعلومة الخضراء للقراء، وهذا يتطلب على القائمين عليها إعادة مراجعة سياسة تنمية المجموعات داخل هذه المكتبات، حيث تعد المجموعات التي تعنى بالتوعية والتعليم البيئي شبه منعدمة

ضمن اقتناءات هذه المكتبات في ظل السياسة والقواعد الداخلية المعتمدة حاليا، سواء القواعد التي تحكم تحديد المواضيع والمحددة كالآتي:

– المعارف العامة: الموسوعات، القواميس، الببليوغرافيات، السلسلات التاريخية، الحوليات والأدلة، ودوائر المعارف (1 إلى 2 نسخ من كل عنوان).

– الفلسفة: 01 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– الدين: 01 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– العلوم الاجتماعية: 20 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– القانون، الاقتصاد، الإدارة، التسيير: 05 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– التاريخ والجغرافيا: 05 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– الفنون: 10 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– رياضة، هوايات، موسيقى: 03 % (2 إلى 3 نسخ من كل عنوان).

– المنشورات الخاصة بالأطفال والشباب: 35 %.

أو القواعد التي تحدد الاقتناءات حسب طبيعة الحامل (الأوعية الورقية 90 %، الأوعية غير الورقية 10 %) التي تهدف إلى التقليل من استخدام الورق.

كما يلزم الوقوف عند التجارب الرائدة للمكتبات العمومية في العالم التي تبنت مشروع "المباني الخضراء" واستطاعت ترجمة هذا البعد الجديد في تصور المكتبات إلى ممارسات خضراء من خلال: العمل على إعداد وتطوير البرامج الخضراء التي تحدد مجال نشاط المكتبات في قضايا البيئة والايكولوجيا، والتوعية والتحسيس من خلال توفير المعلومات الخضراء والتعليم الأخضر، وكذلك إعداد فريق من المكتبيين متخصصين في قضايا البيئة.

8. ضرورة التحول من البناية الخضراء إلى الممارسات الخضراء

يجعلنا ما وقفنا عليه من خلال العمل الميداني وما رصدناه من ملاحظات بالمكتبة الرئيسيّة للمطالعة العموميّة بتلمسان باعتبارها مثال نموذج، ندرك أنّ مباني هذه المكتبات في الجزائر مازالت بعيدة عن احترام جميع هذه العناصر. لكن رغم ذلك فإنّ نأمل بصفتنا أخصائي مكتبات أن تسترسل الجهود من أجل بلوغ ما أشارت إليه كل الأدبيات حول موضوع الرؤية الخضراء، خاصة في ميدان علوم المكتبات، حيث يأتي دمج موضوع الايكولوجيا والاستدامة في أداء المكتبيين كأحد التطورات الجديدة الواردة في المهنة والتي تعكس الدور الاجتماعي والاقتصادي لها، إقتداءا بإنشاءات وتصاميم الجيل الجديد لمباني المكتبات العمومية في العالم والذي يراعي المتطلبات الايكولوجية، لتكون صديقة للبيئة خاصة مع بروز نموذج مكتبات الفضاء الثالث. حيث أنّ هذا التحول

في الجيل الجديد للمكتبات يطرح في الحقيقة فلسفة جديدة في تسييرها، تقوم على الرؤية الخضراء، التي تركز حسب أدبيات الموضوع على الاستخدام الجيد لمواردها، وتحسين الكفاءات التشغيلية، والحد من النفايات، وإعداد البرامج الخضراء بهدف تلبية احتياجات المواطنين، وهو ما يتطلب اكتساب هؤلاء المكتبيين لمهارات جديدة خاصة في الوطن العربي عامة، والجزائر على وجه التحديد من أجل إدراك هذه التحولات والتوجهات الجديدة.

من جانب آخر تلزم هذه التوجهات المكتبات بأن تكون بنايات ذات تصاميم جديدة تراعي معايير الجودة (HQE) ، حتى تكون حاضرة بشكل جدي في البرامج الخضراء التي ترتبط بالتوعية والتحسيس حول قضايا البيئة والمعيشة الخضراء، خاصة في خضم المفارقات التي تعرفها الجزائر خلال السنوات الأخيرة، والناتجة عن الركود الاقتصادي وبروز ما يعرف بسياسة "التقشف" داخل مرافقها وهياكلها العمومية من جهة، ومن جهة أخرى تسجيل استهلاك مكثف للطاقات ووسائل الإنارة من طرف هذه المرافق والهياكل العمومية، حسب ما أشارت إليه دراسة مقدمة من طرف "مركز البحوث في الطاقات المتجددة بالجزائر"، حيث تتجاوز تكلفة الاستهلاك للطاقات (الإضاءة، المكيفات) الميزانية العامة التي وفرتها السلطات العمومية لإنجاز هذه البنيات التحتية والتي تتجاوز 15 مليار دينار كل سنة.

خاتمة

من خلال تعرضنا لنموذج المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية في هذه الدراسة، نجد أن هناك تحول براديغمي في شكل المباني الذي اتخذته هذه المؤسسات، والتي تجعلها تقترب من الحدود المادية للمفهوم الجديد لـ "الفضاء العمومي"، غير أن تفعيل دورها كـ "فضاء عمومي" يعتمد على مدى جعل هذه الفضاءات مستخدمة ومرغوبة بين عامة الناس.

إن هذا التحدي المرتبط بإشكالية تصور وتصميم "الفضاء العمومي" داخل هذه المكتبات يعود أساسا إلى غياب إستراتيجية فعلية في السياسة الثقافية للسلطات العمومية، التي استطاعت وضع معيار وطني للمرافق الثقافية يجعلها تقترب من التحولات والتوجهات الجديدة التي ترتبط بالرؤية الخضراء التي تطرحها المنظمات الدولية (الإفلا)، والتي تؤكد من خلالها على البعد الايكولوجي والاستدامة لهذه المرافق، إلا أن هذه السياسة الثقافية المعتمدة في الجزائر تطرح صعوبات في تحقيق هذا البعد فعليا سواء من خلال تطبيق واحترام المعايير الدولية التي تعنى بالبيئة والايكولوجيا، أو في خلق البرامج والنشاطات التي تبرز وظيفتها التعليمية والتوعوية للمواطنين.

كما يؤثر غياب الوعي بالدور الايكولوجي لهذه المكتبات في السياسة الثقافية للسلطات العمومية على المسيرين لها والمكتبيين، حيث لا نجد اهتمام كبير داخل هذه المكتبات بموضوع البيئة والايكولوجيا والذي يمكنها من استغلال التجهيز والموارد الذي تحظى به في تفعيل هذا الدور، والذي يبقى مرهون داخل هذه الفضاءات ببعض التظاهرات المناسباتية.

إن القيود والشروط التي تضعها السلطات العمومية في تحديد برامج ونشاطات هذه المكتبات من خلال تخصيص الاعتمادات المالية، يجعل هذه الفضاءات بحاجة إلى شراكة جديدة تجمع بين قطاع الثقافة وقطاع البيئة في الجزائر، وهذا لتقريب هذه المكتبات في عملها من مفهوم " الفضاء العمومي " أو مفهوم" المكتبات الخضراء"، حيث يمكن هذا المكتبيين من المرور بالمفاهيم المرتبطة بالبيئة والايكولوجيا بالعودة إلى البرامج والمخططات الوطنية المرتبط بمشروع البيئة والحفاظ على الطاقات في إطار مشروع التنمية المستدامة، حتى لا تكون المكتبات العمومية الجزائرية بعيدة عن هذه التوجهات الجديدة التي تدرج البعد الايكولوجي في وظائفها، والذي يتطلب دراسات معمقة من طرف الباحثين في ميدان علوم المكتبات لتحديد وترجمة هذا البعد الجديد من جميع جوانبه، ومحاولة إدراجه في تمثلات وتصورات المسيرين والمكتبيين.

المراجع

- احميداتو، محمد. (د.ت)، **الاستراتيجية الوطنية للبيئة والمخطط الوطني للنشاط البيئي والتنمية المستدامة**. [الخط المباشر]. الإتاحة على https://www.asjp.cerist.dz/en/article/26482: (تاريخ الزيارة 2018.05.03).

- قانون رقم 03-10 مؤرخ في 19 جمادى الأول عام 1429 الموافق 19 يوليو سنة 2003 يتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية.ع.43.

- Alain, L. (2001). *La bibliothèque comme espace « priblic »*. [enligne] Enssib.fr. URL:http://www.enssib.fr/bibliotheque-numerique/documents/47598-la-bibliotheque-comme-espace-priblic.pdf [Consulté le 12.04.2017].

- Anne-Marie, B. (1998). *La bibliothèque dans l'espace public*. [en ligne] URL: http://www.enssib.fr/bibliothéque numérique /notice.1506 [Consulté le 9.04.2017].

- *Bibliothèque où le désir d'urbanité*. (2014). [en ligne] URL: https://www.caue92.fr/IMG/pdf/1_abcd.pdf [Consulté le 12.04.2017].

- Blot-Julienne, G. (2018). *Au-delà du choix d'implantation d'une bibliothèque : la bibliothèque et la ville.* [enligne] Books.openedition.org. URL: http://books.openedition.org/pressesenssib/1252?lang=fr#ftn1 [Consulté le 27.04.2018].

- Direction des Etudes Prospectives de la Documentation et de l'Informatique. (2008). *Normalisation des infrastructures et équipements culturels.*

- Mathilde, Servet. (2009). *Les bibliothèques troisième lieu* (Diplôme de conservateur des bibliothèques). Ecole nationale des sciences de L'information et des bibliothèques.

- Maija, B. Finland, H. (2013). *Les bibliothèques publiques et la fabrication d'espaces*. [en ligne] Library.ifla.org. URL: http://library.ifla.org/224/7/081-berndtson-fr.pdf [Consulté le 22.03.2015].

- Ministère de la culture. *schéma directeur sectoriel des biens et services et des grands équipements culturels.*

- Oldenburg, R. (s.d.). *The great good place: cafés, coffee shops, bookstores, bars, hair salons, and other hangouts at the heart of a community*. New York: Marlowe & Campany.

- Paquot, T. (2008). Préface De « l'espace public » aux « espaces publics : Considérations étymologiques et généalogiques ». In : *Les temps de l'espace public urbain : Construction, transformation et utilisation*. Canada : MultiMondes.

- Serap, K, Joumana, B. (2014). *From Green Libraries to Green Information Literacy*. [enligne] URL: https://www.researchgate.net/publication/284731109_From_Green_Libraries_to_Green_Information_Literacy [Consulté le 27.04.2018].